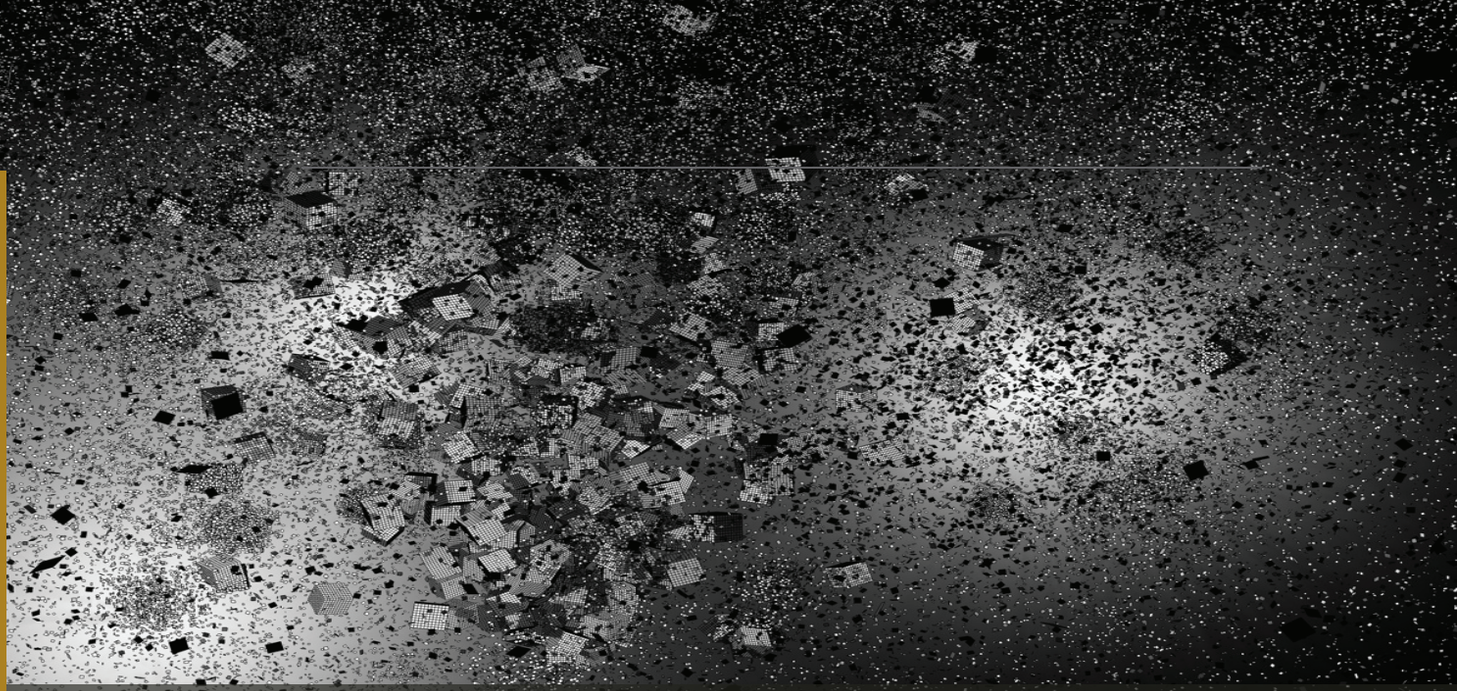

التفجير من الداخل:

الملامح الأساسية لـ «دوامة العنف» في حروب الجيل الخامس

شادي عبدالوهاب
منسق برنامج تقدير الاتجاهات الأمنية بمركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة- أبوظبي- الإمارات العربية المتحدة

تتسم حروب الجيل الخامس بأنها تستهدف المجتمع، فهي تقوم على استغلال التناقضات الموجودة في بنيته، وأوجه الضعف القائمة فيه، لإثارة سخط الشعب، ومن ثم تهديد كيان الدولة من داخلها بما ينذر بإمكانية تفجرها أو إضعافها في أقل الأحوال.

إن هذا الجيل من الحروب يرتبط بشن حرب ضد الدولة المستهدفة في مجالات شتى، وليس المجال العسكري فقط، إذ تعتمد بصورة أكبر على الحروب الاقتصادية والمالية والمعلوماتية وغيرها، كما أنها ترتكز على إقامة تحالف واسع يضم دولاً وجماعات وشبكات إجرامية، بل وحتى أفراد، لا تجمعهم بالضرورة مصلحة سوى إسقاط الدولة المستهدفة.

وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح ملامح الأجيال المختلفة من الحروب من الأول إلى الرابع، ثم عرض حروب "الجيل الخامس"، والفرق بينها وبين الأجيال السابقة، وتوضيح أهم السمات الرئيسية لها، وأخيراً تتطرق إلى كيفية مواجهة حروب الجيل الخامس.

أولاً:
الأجيال السابقة من الحروب

يختلف المحللون الاستراتيجيون والعسكريون في تعريف وتوصيف أجيال الحروب، لكن تتمثل إحدى أبرز التصنيفات التي تشكل مدخلاً أكثر ملاءمة لدراسة حروب الجيل الخامس في التالي:

1- حروب الجيل الأول: كانت تعتمد على استخدام البنادق والمدافع البدائية، إذ كان الخصوم المتحاربون يحشدون قوات ضخمة في شكل أفقي أو رأسي لتوجيه أعلى معدل ممكن من النيران، وكان الهدف هو تحقيق نصر عسكري حاسم من أول مواجهة، ومثال ذلك الحروب النابليونية في أوائل القرن التاسع عشر.

2- حروب الجيل الثاني: اعتمدت على تكنولوجيا أحدث، وقوة نيران أكبر في ميدان المعركة، مثل البنادق الآلية والمدرعات الثقيلة، وهو ما أدى للاعتماد على قوة النيران الكثيفة، بدلاً من حشد عدد كبير من القوات في ميدان المعركة، وهو ما نتج عنه الاعتماد على الخنادق.

3- حروب الجيل الثالث: برزت بصورة كبيرة خلال الحرب العالمية الثانية، مع تطور المدرعات والقوة الجوية والاتصالات، مما ساعد على القيام بالمناورات العسكرية بدرجة لم تكن معهودة سابقاً، ومكّن من التنسيق بين نيران القوات البرية والجوية، وقد ساعد هذا جيشاً ذا عدد أقل من المقاتلين على الانتصار على جيش أكبر عدداً، مثل الانتصار الساحق للألمان على الفرنسيين في الحرب الخاطفة (Blitz Krieg) في مايو 1940[1]، في بدايات الحرب العالمية الثانية.

4- حروب الجيل الرابع: تتمثل في استخدام أسلوب حرب العصابات بصورة أساسية، وذلك لإقناع متخذ القرار السياسي للخصم بأن الأهداف الاستراتيجية التي يسعى لتحقيقها إما أنه لا يمكن تحقيقها أو أنها مكلفة للغاية مقارنة بالفوائد المتوقعة من ورائها، وبالتالي فإنها تهدف إلى الهجوم المباشر على عقول متخذي القرار للخصم، يساعدها في ذلك تصميم حملات إعلامية تهدف لتغيير موقفه.

وتتمثل أبرز خصائص حروب الجيل الرابع في التالي:

أ- إن هدف الحرب ليس الهزيمة التقليدية لجيش الخصم، ولكن تحقيق نصر سياسي عليه من خلال كسر إرادته ورفع تكلفة استمراره في الحرب[2].

ب- غياب الحدود الفاصلة بين استهداف القوات المسلحة والمدنيين، خاصة أن هيكل الدعم والإسناد يضم كلاً من الأفراد المدنيين والمقاتلين على حد سواء.

ج- غياب المعالم الواضحة لأرض المعركة، حيث ينتشر القتال في أماكن عدة وغير محددة.

د- زيادة الاعتماد على حرب المعلومات وتوظيف وسائل الإعلام وتوجيهها لتقليل الدعم الشعبي للحكومة التي تشن الحرب[3].

هـ- لا تقتصر الحرب على طرفين أو أطراف مباشرة فقط، فقد تقدم دولة ما أو مجموعات معينة الدعم لمقاتلي دولة أو جماعة تخوض الحرب بهدف تحقيق أغراض سياسية تتمثل في إطالة أمد الحرب أو استنزاف الخصم.

ثانياً:

أسباب ومجالات حروب الجيل الخامس

يمكن القول إن ثمة تداخلاً بين كافة هذه الأجيال السابقة، كما أن ظهور جيل جديد لا يعني نسخ ما سبقه، لكن حروب الجيل الخامس تبدو مختلفة كثيراً عن سائر هذه الأجيال الأربعة، سواءً من حيث الأسباب أو مجالات الصراع أو الأدوات التي يستخدمها الخصوم ضد بعضهم البعض.

1- أسباب بروز الجيل الخامس من الحروب:

يشير توماس هامز، العقيد في قوات البحرية الأمريكية وأحد المتخصصين في الدراسات الأمنية، والذي كان من أبرز المساهمين في صك مفهوم "حروب الجيل الرابع"، إلى أن بداية تبلور جيل من الحروب، أي الجيل الخامس، كانت نتاج عدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية من أهمها:

أ- سياسياً: حدث تغير كبير في طبيعة الأطراف المتحاربة، فلم تصبح بعض الدول تستخدم جيوشاً نظامية ضخمة، وكذا لم تصبح الدولة فقط هي صاحبة قرار الحرب، بل أضحت جماعات صغيرة من الأفراد المتشابهين فكرياً، والذين قد لا يجمعهم تنظيم واضح، قادرة على اتخاذ قرار خوض الحرب.

ب- اقتصادياً: حدث ترابط بين المشاكل الاقتصادية والعسكرية، لأن زيادة الاعتماد العالمي المتبادل اقتصادياً جعل من بعض القضايا الاقتصادية، مثل انقطاع أو وقف إنتاج السلع الأساسية، مصدر تهديد للأمن الوطني والدولي، فعلى سبيل المثال قامت مجموعة من نحو 20 نيجيرياً في عام 2006 باحتجاز رهائن من منصة نفطية تابعة لشركة شل في خليج غينيا، مما اضطر الشركة إلى وقف إنتاجها في دلتا النيجر، وارتفاع أسعار النفط بصورة كبيرة.

ج- اجتماعياً: طرأ تغير كبير على المجتمعات ذاتها، فربما أدت العولمة وتكنولوجيا الاتصالات إلى نزوع الأفراد لنقل ولائهم من الدولة إلى الولاء لقضايا معينة، وصار العديد منهم أكثر ارتباطاً بما تتم إثارته على شبكة الإنترنت، على حساب الاهتمام بالمشاكل الحقيقية لمجتمعاتهم، ويتمثل مصدر التهديد هنا في أن بعضهم أصبح مستعداً للتطرف واستخدام العنف كوسيلة للتعبير عن الرأي، حتى دون التقدير المنطقي لعواقب أفعاله.

كما طرأ تحول في مضمون وطريقة إرسال المعلومات، حيث استطاعت الجماعات الإرهابية الاستفادة منها، من الدعاية الشاملة إلى حملات إعلامية مدروسة تستخدم أنماطاً جديدة من أدوات الاتصال كوسائل الاتصال الاجتماعي والهواتف النقالة والإنترنت، بغرض التجنيد والتدريب والاتصال والتعليم والسيطرة على الأعضاء الجدد، أي حدث تغير في نمط التجنيد من التعبئة الجماهيرية إلى تعبئة أفراد مستهدفين.

إن مجمل هذه التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية يشير إلى بروز أفراد وجماعات صغيرة تزداد فاعليتهم بسبب تطور أدوات الاتصالات، ويربطهم معاً دفاعهم عن قضية معينة بدلاً من الولاء لدولتهم. ومع توظيفهم للتكنولوجيا الحديثة، فإنهم قادرون على توليد قوة مدمرة كانت تحتاج

في السابق إلى موارد دولة قومية[4].

وبناءً على ذلك، يصف "هامز" حروب الجيل الخامس بأنها حروب الشبكات والطائرات (Nets & Jets)، فشبكات المعلومات توفر المعلومات الأساسية عن المعدات والمواد اللازمة للقيام بعمليات إرهابية أو تخريبية، كما أنها تمثل وسيلة مهمة لتجنيد المتطوعين المستقبليين، أما الطائرات فسوف توفر الوسيلة الرخيصة للسفر وتهريب الأسلحة[5].

2- مجالات الصراع في حروب الجيل الخامس:

تختلف مجالات حروب الجيل الخامس عما سبقها، فالجيلان الأول والثاني كان يتم خوضهما في البر أو البحر، فيما اعتمدت حروب الجيل الثالث على التطور الاقتصادي والتكنولوجي في العصر الصناعي، الذي ضم المجال الجوي إلى نطاق الحرب، بل وحتى تحت سطح المياه، علاوة على الفضاء الإلكتروني (Cyber Domains)، بينما أفسحت حروب الجيل الرابع نطاقات الحرب إلى مدى أبعد من المعارك المادية الثلاث السابقة (البر والبحر والجو)، لتضم إليها المجال السياسي، بحيث أضحت الحرب ذاتها صراع إرادة سياسية لا مجرد صراع بالقوة المسلحة أو قوة السلاح[6] ؛ وبالتالي أصبح باستطاعة طرف ضعيف عسكرياً الانتصار على خصمه الذي يتفوق عليه عسكرياً.

أما حروب الجيل الخامس، فتختلف عما سبق في كونها تجاوزت مجالات الصراع التقليدية السابقة، لتكون بمنزلة نوع من الحروب غير المقيدة (Unrestricted warfare)، وفقاً لما يراه كل من: كياو ليانج اللواء في القوات الجوية الصينية، ووانج زينجاسي العقيد في جيش التحرير الشعبي الصيني، حيث تبرز المجالات التالية في سياق حروب الجيل الخامس:

• **الحرب الاقتصادية:** يقصد بها إضعاف قدرة العدو على إنتاج وتوزيع السلع والخدمات[7].

• **الحرب المالية:** تتمثل في استخدام الأدوات المالية وقوى السوق لعزل الخصوم عن النظام المالي والتجاري العالمي، والقضاء على مصادر تمويلهم، وهو ما يحد من قدرتهم على الحركة، سواءً أكانوا دولاً أم جماعات[8].

ويعد استخدام هذا النوع جزءاً رئيسياً من العقيدة العسكرية الأمريكية، وبالمقابل تشن الجماعات ما دون الدول هي الأخرى حروباً اقتصادية، فالوثائق التي تم العثور عليها في المجمع السكني لأسامة بن لادن في أبوت آباد في باكستان تتحدث عن توجيه ضربات استراتيجية لاقتصاد الولايات المتحدة من خلال ضرب ناقلات النفط والبنية التحتية للطاقة وغيرها من الأهداف الحيوية، في وقت كان يعاني فيه الاقتصاد الأمريكي والعالمي من أزمات اقتصادية، وذلك من أجل استمرار تفاقم الأزمة[9].

• **حرب الفضاء الإلكتروني:** تقوم بشنها دول أو جماعات أو حتى أفراد، ولعل أحد أمثلتها هجمات ستاكسنت (Stuxnet)، التي شنتها الولايات المتحدة وإسرائيل ضد إيران، وهي جزء من هجمات أكبر عرفت باسم "الألعاب الأوليمبية" (Operation Olympic games)، وقد هدفت "ستاكسنت" إلى تخريب برنامج إيران النووي، حيث تم إنزال فيروس ضار على برنامج التشغيل الإلكتروني الذي يدير عملية تخصيب اليورانيوم في موقع ناتانزالنووي، وهو ما تسبب في إتلاف عدد كبير من وحدات الطرد المركزي، وقد كان هذا الهجوم متطوراً، فقد قام مطورو الفيروس بجعله قادراً على اتخاذ قرارات مستقلة في البيئة المستهدفة [10].

• **الحرب المعلوماتية:** يقوم فيها الخصم بالعمل على إعاقة وتعطيل وتدمير النظم المعلوماتية للخصم الآخر، مع حماية النظم المعلوماتية الخاصة به. وتعد الحرب الدعائية من أبرز تكتيكات الحرب المعلوماتية، وتتضمن نشر الأخبار والمعلومات والحجج بطريقة مخططة، من أجل التأثير على مدركات وأفكار شعب أو جماعة إثنية معينة[11]، وتقوم الجماعات الإرهابية باستخدام الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي لنقل رسائلها المتطرفة وتجنيد الانتحاريين وتدريبهم على كيفية صناعة القنابل والمتفجرات بأبسط المواد المتوفرة حولهم.

• **حرب المخدرات:** يقصد بها إغراق دولة معينة بالمخدرات والمواد الدوائية المخدرة لتدمير النسيج المجتمعي بها.

• **حرب الموارد:** يسعى الخصم هنا إلى السيطرة على الموارد الطبيعية النادرة، والقدرة على التحكم في الوصول إليها، وتحديد قيمتها السوقية.

• **الحرب البيئية:** يقصد بها إضعاف قدرات دولة مناوئة من خلال تغيير أو تدمير البيئة الطبيعية لها[12].

• **الحرب البيولوجية:** يقوم فيها الخصم بالاستخدام المتعمد للجراثيم أو الفيروسات أو غيرها من الكائنات الحية لنشر الأوبئة بين البشر والحيوانات والنباتات. وتكمن خطورة هذا النوع من الأسلحة في صعوبة اكتشافها قبل الإطلاق. ومن أبرز الأمثلة على هذه الهجمات هجمات الأنثراكس في أكتوبر 2001، ضد مبنى الكابيتول هيل (مقر الكونجرس).

وتزداد مخاطر الحرب البيولوجية مع إمكانية قيام أفراد بتطويرها، ففي عام 2004، قام فريق بقيادة د. كريج فينتير بتصنيع فيروس باستخدام مواد ومعدات متوفرة تجارياً بدون

أي قيود، وهو ما يمكن أن يقوم به طالب باستخدام معمل جامعي، خاصة أن تكاليف إنتاج الفيروس انخفضت للغاية، حتى إن البعض توقع أنه خلال عقد من الزمن، سيتمكن الباحث من تكوين فيروس الجدري بتكلفة تتراوح ما بين ألفين وعشرين ألف دولار، كما أن المعدات المراد استخدامها لتجميع الفيروس سوف تتكلف نحو 10 آلاف دولار فقط [13].

3- الطبيعة المتغيرة للخصوم:

يعتبر التزامن بين تطور مجالات جديدة لصراع وتغير طبيعة الخصوم من أهم عوامل ظهور أجيال مختلفة من الحروب. فقد كان اختراع أسلحة متقدمة مثل البنادق والمدافع، وبالتالي ظهور التشكيلات العسكرية في شكل رأسي أو أفقي (Line & column formation of armies)، هو ما أدى إلى ظهور الجيل الأول من الحروب، فيما تطور الجيل الثاني بعد استخدام الخنادق للحد من التكلفة في الأرواح. وتبرز حالة الحرب الأهلية الأمريكية هذا التطور الانتقالي من الجيل الأول إلى الثاني، فقد بدأت تلك الحرب بساحات القتال المفتوحة، لكنها اتبعت بعد ذلك تكتيكات واستراتيجيات حروب الخنادق.

أما الجيل الثالث فقد برز مع اختراع المدرعات وظهور ما يعرف باسم الجيوش المميكنة (Mechanized army) القادرة على التحرك بسرعة والمناورة لتهيمن على المعارك التقليدية، وهو ما بدأ خلال الحرب العالمية الأولى، ولايزال مستمراً حتى الآن[14]، فيما شهدت الخمسون سنة التالية للحرب العالمية الثانية تطوراً لافتاً نقل الحروب إلى الجيل الرابع بخصائصه المتعددة التي تمت الإشارة إليها سابقاً.

ويشير "فان كريفيلد" في كتاب "تحولات الحرب"، إلى أنه من بين أكثر من 160 صراعاً مسلحاً حول العالم خلال الفترة ما بين 1945 و1991، فإن 75% منها تتصف بأنها منخفضة الحدة، سواءً كانت حرب عصابات أو أعمالاً إرهابية، كما أنه من بين 159 "عملية تمرد" في الفترة من 1950 وحتى 2003، فإن نجاح الدول في محاربة عملية التمرد بلغت نحو 21% فقط.

لقد اقتصرت حروب الجيل الرابع نسبياً على الدول والجماعات المنظمة أو شبه المنظمة، مثل حركات التمرد والتنظيمات الإرهابية، فيما مكنت حروب الجيل الخامس كل كيان يمتلك الوسائل الاقتصادية والتقنية ولديه رغبة في شن حروب من القدرة على ذلك. ففي عصر العولمة والمعلومات، لم تعد الحروب حكراً على الدول والجماعات المنظمة فقط، بل أضحت مجال عمل لكيانات أخرى مثل الشبكات العابرة للحدود الوطنية، بل والأفراد ذوي الكفاءات شديدة التميز (Super–empowered individuals)، والتحالفات التي قد تقوم بينهم (Supra–combinations)، وذلك بطريقة غير مسبوقة[15].

4- الطبيعة المتغيرة للأهداف:

أحدث التغير في أسباب ومجالات الحرب والخصوم تغيراً موازياً في أهداف الحرب من جيل إلى جيل، فثمة ارتباط ما بين تطور الأهداف وتطور آليات الهزيمة المناظرة، تمتد من الإبادة إلى استنزاف الموارد إلى المناورة إلى استنزاف إرادة الخصم إلى تحقيق الانهيار الداخلي له. ففي الجيل الأول كان الهدف هو الإبادة، أي التدمير المباشر للجيش المعادي من خلال توجيه ضربات عسكرية لمركز ثقله[16]، وتعد هزيمة نابليون على يد ولنجتون نموذجاً كلاسيكياً على ذلك.

لكن مع استخدام الخنادق، باتت قدرة الخصمين على الإبادة محدودة، لينتقل الهدف في حروب الجيل الثاني إلى استنزاف موارد الخصم، والمثل الأبرز على ذلك هو الحرب العالمية الأولى.

ومع تطبيق الألمان مفهوم الحرب الخاطفة (Blitz krieg) في بداية الحرب العالمية الثانية، أي استخدام أسلوب المناورة كآلية لهزيمة الخصم، برزت حروب الجيل الثالث، حيث قام الجيش الألماني باستخدام آلية المناورة ضد هيكل القيادة والسيطرة وهيكل الإمدادات، وقام بفصلها عن الوحدات المقاتلة للجيش الفرنسي، وهو ما كان كفيلاً بهزيمة الفرنسيين.

ومع غياب الموارد الكافية لهزيمة الخصوم بالطرق التقليدية من خلال الإبادة أو استنزاف الموارد أو من خلال المناورة، اعتمدت حروب الجيل الرابع على استنزاف إرادة الخصم كآلية للهزيمة. فمن خلال استخدام استراتيجيات وتكتيكات حركات التمرد المسلحة، بالإضافة إلى شن حملات معلوماتية ودعائية مكثفة لفترة طويلة من الزمن، فإنه يتم استنزاف إرادة الشعب والإرادة السياسية الداعمة للقتال، وكان هذا النوع من الحروب، ولايزال، هو الوحيد القادر على هزيمة القوى العظمى، مثل الولايات المتحدة في فيتنام ولبنان والصومال، وهزيمة الاتحاد السوفييتي في أفغانستان[17].

أما في حروب الجيل الخامس، فقد توسعت مجالات الحرب من خلال إقامة علاقات تحالفية (التشبيك) بين الدول والكيانات ما دون الدول والأفراد ذوي الكفاءات شديدة التميز. ويتمثل الهدف في تحقيق الانهيار الداخلي للدولة نتيجة للقصور الذاتي، فوفقاً للرائد شانون بيب، مسؤول الاستخبارات الأمريكية في أفريقيا، فإن "حروب الجيل الخامس لا تستخدم القوة المسلحة أو الأفكار وحدها، ولكنها بمنزلة دوامة عنف (Vortex of Violence) وتدمير

مباغت وغير متوقع يكون محركه الأساسي الإحباط أكثر من تكامل الخطط لإسقاط العدو"[18].

5- الطبيعة المتغيرة لمركز الثقل:

اتسمت ملامح وطبيعة الحروب في الأجيال الثلاثة الأولى بالثبات تقريباً، فقد كان العمل العسكري يرتكز على تحديد ومهاجمة وتدمير مركز الثقل الخاص بالعدو في معركة مادية، مع قيام الدولة المهاجمة بحماية مركز الثقل الخاص بها، وهو ما انتهى مع حروب الجيل الرابع، إذ يكون مركز الثقل بعيداً عن ساحة المعركة المادية نظراً لتغير طبيعة المعركة، إذ إنها معركة سياسية أكثر من كونها عسكرية.

أما في معارك الجيل الخامس، فإن مركز الثقل الذي يمكن استخدام القوة ضده لا يكون بعيداً عن ساحة المعركة المادية فقط، مثل الجيل الرابع، ولكن أيضاً لوجود تحالفات شبكية واسعة (Networked supra combinations) إلى الحد الذي يجعل مركز– أو مراكز الثقل– إما لا يمكن إدراكها من قبل الخصم أو تعطي الانطباع بأنها غير موجودة[19].

هنا تتسم حروب الجيل الخامس بأن الخصم لا يمتلك أي مركز ثقل يمكن استهدافه، فالخصوم لا يمثلون قوة عسكرية منظمة، ولكنهم يرتكزون حول فكرة أو معتقد. وقد يكون نهجهم عدمياً غير عقلاني، أو عقيماً عسكرياً، كما قد يلجأون إلى أفعال غير منطقية مثل قتل شعوبهم أو حتى أولادهم أو حتى تدمير دولتهم[20]. ولعل المثل الواضح على ذلك هو الجماعات الجهادية التي تكون على استعداد لتدمير الدولة على أساس أنها دولة كافرة وتسعى لإقامة دولة بديلة، أو قيام حكومات بعض الدول بخوض حرب ضد الشعب ذاته.

ووفقاً لذلك فإن مفهوم القوة اتسع بصورة كبيرة ليضم أي وسيلة عسكرية أو غير عسكرية، لإجبار الخصم على الخضوع لإرادة خصمه، وإذا ما تم تطبيق هذه الوسائل بنجاح، فإنها من الممكن أن تهزم جيشاً[21].

ثالثاً:

ملامح أساسية لحروب الجيل الخامس

يوضح العرض السابق أن حروب الجيل الخامس أكثر من مجرد تنقيح لحروب الجيل الرابع، وأكثر تطوراً من أشكال التمرد والإرهاب، فهي حرب بلا قيود (Unrestricted warfare) تستخدم فيها كل الوسائل لإجبار العدو على القبول بمصالح خصمه، من خلال وسائل متعددة، أحدثها قيام تحالف يضم الدول والكيانات من غير الدول في شكل منظمات شبكية وجماعات وأفراد ذوي قدرات مميزة، أو أي تحالف من هذه الجماعات تجمعهم المصالح المشتركة بدلاً من الأهداف الأيديولوجية أو الوطنية.

ويمكن القول إن هذا النوع الأخطر من الحروب يتسم بأربع خصائص تميزه عن الأجيال السابقة[22]، وتتمثل هذه الخصائص في التالي:

1- تشكيل تحالفات واسعة:

تعطي إمكانية تشكيل تحالفات واسعة لمن يشن مثل هذه الحروب ميزة تفوق الحروب التقليدية، فهي حروب تشترك فيها الدول والكيانات من غير الدول، وتتمثل هذه التحالفات في:

• **شن صراع في عدة مجالات** (Supra–domain combinations): فقد يتم تشكيل تحالف قتالي يخوض هذه الحرب في عدة مجالات في وقت واحد، فعلاوة على القتال التقليدي بين الجيوش، ثمة خليط من حرب اقتصادية وبيئية وإعلامية وتكنولوجية وثقافية ونفسية ودينية، وبالتالي فإن اتساع مجالات الحروب لتشمل المجالات المادية والمعلوماتية والإدراكية والاجتماعية من الصراع تعني أن الصراع لم يعد قاصراً على الجيوش المسلحة، لكنه امتد ليشمل كافة الأبعاد الإنسانية، ما يجعل أمر المعركة حاضراً في كل مجال، بحيث يصبح الصراع "كلي الوجود"(Omnipresent)[23].

• **تحالف واسع من خصوم مختلفين** (Supra–adversary combinations): قد يضم هذا التحالف أطرافاً متنوعة من الدولة والكيانات ما دون الدولة والكيانات العابرة للحدود القومية والشبكات والجماعات والأفراد ذوي الكفاءات شديدة التميز مثل الذئاب المنفردة[24] (Lone Wolf)، والتي يقوم فيها أشخاص فرادى بتنفيذ عمليات إرهابية دون الحاجة إلى الانضمام لتنظيم إرهابي.

ويمكن للخصم الذي يحقق التحالفات السابقة أن يصل إلى مستوى عالٍ من المرونة التكتيكية، ويتغلب على محدودية الموارد، ويمتلك قدرات غير محدودة، خاصة أن هدف الحرب قد تعاظم، فالنجاح لا يعتمد فقط على التدمير المادي للخصم، ولكن يمكن تحقيقه من خلال التحالفات الواسعة من المجالات والخصوم، ومن هذا المنطق، فإن الجيش التقليدي يمكن أن يكسب كل معركة تكتيكية في المجال المادي من الصراع، لكنه قد يخسر الحرب استراتيجياً، وذلك نظراً لأن جهوده لا قيمة لها أمام الخصم الذي لا يتقيد بمجال واحد من الصراع ولديه تحالفات واسعة من الخصوم، وهو ما يصعب معه هزيمة الخصم الذي يطبق حروب الجيل الخامس عبر القوة العسكرية التقليدية وحدها، والتي كان يمكن لها أن تنهي الصراع في حروب الجيل الثالث أو حتى الجيل الرابع[25].

2- تلاشي الحدود:

يعني هذا المصطلح، من منظور حروب الجيل الخامس، ضعف القدرة على التمييز بين ما يعد سلاحاً وما لا يعد سلاحاً، وبين ما يشكل أرضاً للمعركة وما لا يشكل أرضاً لها، وبين ما يعد أفعالاً إجرامية وأعمالاً حربية، وبين مقاتل وغير مقاتل، وبين الدولة والكيانات ما دون الدولة، وبين الأفعال التي تعد أخلاقية وتلك التي لا تعد أخلاقية.

وتظهر أفعال تنظيم القاعدة الإرهابي كيف أن الكيانات ما دون الدول استطاعت الاستفادة من التكنولوجيا التي يتم تطويرها، ومثال ذلك استخدام الإنترنت من أجل شن حملات معلوماتية واستخدام طائرات مدنية / تجارية لشن هجمات 11 سبتمبر 2001، وبالتالي يتم استخدام أعظم الأدوات التي تم تطويرها لخدمة الإنسانية كسلاح محتمل ضدها.

وبالمثل توضح حالة القاعدة والتنظيمات الإجرامية والمافيا كيف أن الكيانات من دون الدول تستفيد من التكنولوجيا الحديثة دون الحاجة لتمويل أو إجراء أبحاث وتطوير لأسلحة جديدة، فهي تستخدم التكنولوجيا المتقدمة التي تطورها الدولة ضدهم، وبالتالي فإن التفرقة بين ما يعد سلاحاً وما لا يعد سلاحاً يؤدي كذلك إلى تلاشي الحدود بين ما يعد أرض معركة وما لا يعد أرض معركة. كما أن تأثير العولمة والتكنولوجيا جعل كلاً من أسواق البورصة ومعامل الأبحاث ووسائل الإعلام والمراكز الاقتصادية والمراكز الدينية والفضاء الإلكتروني بمنزلة ساحات معارك لا تقل أهمية عن ميادين القتال، وجعل ذلك من سماسرة البورصات والعلماء والصحفيين وأصحاب البنوك ومديري الشركات ورجال الدين وأصحاب التخصصات الفنية المختلفة أشبه بأفراد الجيش المقاتلين.

من جانب آخر أدى ما سبق إلى تلاشي الفروق بين المقاتلين والمدنيين، أو المحاربين وغير المحاربين، بحيث أضحى المدنيون هم الأكثر تضرراً في حروب الجيل الخامس، فعلى سبيل المثال، برر زعيم القاعدة السابق، أسامة بن لادن، استهداف المدنيين على أساس أنهم من انتخبوا قادتهم، وبالتالي أعطوهم الموافقة على تدمير منازل الفلسطينيين وذبح أطفال العراق، ومن ثم فإن الشعب الأمريكي يعد مشاركاً في كل هذه الجرائم، ومن الواجب استهدافه. وتتعاظم هذه المخاطر من خلال سعي القاعدة وغيرها من الجماعات الإرهابية إلى امتلاك أسلحة الدمار الشامل لاستخدامها ضد المدنيين، ويحدث الأمر ذاته لدى استهداف الولايات المتحدة قواعد الإرهابيين بالطائرات من دون طيار في باكستان واليمن على سبيل المثال، والتي تنتج عنها خسائر من المدنيين.

3- غياب الطابع المؤسسي:

اتسمت الأجيال الأربعة السابقة من الحروب بأن الصراع بين الخصوم كان يحدث من قبل كيانات تتمتع بهياكل مؤسسية، سواء أكانت جيوشاً أو حتى جماعات التمرد، أي أن لها مركز ثقل، يتمثل في التسلسل القيادي والروح المعنوية والإمدادات اللوجستية والدعم السياسي والشعبي، إضافة إلى وجود مبررات أخلاقية أو قانونية، وعندما كان يتم تدمير مركز ثقل العدو، يمكن تدمير المؤسسة بأكملها، وتحقيق النصر.

بيد أن حروب الجيل الخامس تختلف عن ذلك كونها "حروباً شبكية" حيث لا يوجد مركز ثقل يعكس الهيكل المؤسسي[26] ، وترتبط بهذا الملمح صفة أخرى هي غياب القيادة، ففي حين أن حروب الجيل الرابع تفترض وجود طليعة متماسكة تقود الحركة للانتصار من خلال أسلوب حرب العصابات، فإن حروب الجيل الخامس تعتمد على وجود أفراد يعملون بناءً على تعليمات محددة أو حتى من دون أي تعليمات من منظمة مركزية[27].

خاتمة

مما سبق يتضح أن حروب الجيل الخامس، ذات طبيعة شاملة تطال المجتمع والدولة معاً، ولا يمنع الطابع غير الدموي لأسلحتها من القول إن جوهر الحرب ثابت في كل الأحوال، وهو القائم على الإكراه، وإن نتائجها ومخرجاتها لا تتغير، فالهدف الأخير هو هزيمة الخصوم.

ونظراً لأن حروب الجيل الخامس تركز على المجتمع، فإن أفضل الآليات لمواجهة هذا النوع من الحروب يتم من خلال تحصين المجتمع، وذلك من خلال التركيز على كسب ولاء المواطنين، بالإضافة لاستهداف الحاضنات الاجتماعية للإرهابيين، وذلك على أساس أنه إذا كان أغلب الإرهابيين متطرفين، فإن غالبية المتطرفين ليسوا إرهابيين، ولذلك، يجب التفريق بين أولئك الذين يعبرون عن آراء متطرفة، وأولئك الذين على استعداد للقيام بعمليات إرهابية، كما أن كسب ثقة المجتمعات المستهدفة يساعد في الحصول على المعلومات الاستخباراتية اللازمة لمكافحة الجماعات المتطرفة[28].

ويمكن القيام بذلك من خلال "عمليات تنمية استراتيجية استباقية"، ترتكز على التحسين المادي لجوانب الضعف في النظام الاجتماعي، باستخدام استراتيجيات تنموية وتعليمية مع إشراك المجتمع المعني في عملية التنمية لمنع الفساد، إضافة إلى توفير فرص العمل للأجيال الشابة في المجتمعات المستهدفة، وذلك على أساس أن الشباب الذين لديهم توقعات إيجابية عن المستقبل لن يقوموا بتحدي الحكومة، أو الوضع القائم مقارنة بأولئك الذين لديهم نظرة ساخطة أو متشائمة

عن المستقبل، وبالتالي فإن محور التركيز الأساسي هو بناء الولاء لدى الشباب ودفعهم للعمل مع الحكومة لتحقيق أهداف مشتركة طويلة الأمد من خلال مشاريع تستهدف تحسين مستقبلهم، فالهدف النهائي هو تحسين النظام الاجتماعي قبل أن ينهار، وبالتالي منع فرص وأسباب اندلاع الصراع[29].

كما ينبغي التركيز على تفكيك التحالفات الكبرى التي قد تنشأ ضد الدولة من خلال العمل على مهاجمة العمليات الفرعية لها، مثل إعاقة تطوير القيادة والسيطرة، ومنع اختراق المجتمع ثقافياً، ووقف التمويل والدعم المادي والمأوى والتجنيد وإعاقة التخطيط والاتصالات، ويتم ذلك بأي أداة سواء كانت عسكرية أو غير عسكرية، وذلك بهدف تجنب الانفجار من الداخل نتيجة للقصور الذاتي[30].

وفضلاً عما سبق، ينبغي عدم الدخول في مفاوضات مع الجماعات المشاركة في حروب الجيل الخامس، إلا من موقع القوة[31]، وبالتالي فإن استخدام الآلية الأمنية وحتى العسكرية في القضاء على الجماعات المنخرطة في مثل هذا النوع من الحروب يعد أمراً ضرورياً، غير أن خطورة الاعتماد على هذه الآلية وحدها تتمثل في إمكانية وقوع أضرار جانبية، تثير غضب السكان المحليين، ولذلك فلا يجب التركيز على البعد الأمني وحده، حيث يتطلب الأمر الحصول على دعم ومساندة الشعب من أجل كسب هذا النوع من الحروب.

وأخيراً، يجب عدم إغفال تكتيكات الحرب الإلكترونية والتحكم في الفضاء الإلكتروني، وذلك لحرمان الجماعات الإرهابية من القدرة على الاتصال[32]، ونقل أفكارها الهدامة.

---

1) George Michael, Counter Insurgency & Lone Wolf Terrorism, **Terrorism & Political Violence**, Vol. 26, No. 1, 2014, P 46.

2) Michael J. Artelli & Deckro, Richard F., Fourth Generation Operations: Principles For The Long War, **Small Wars & Insurgencies**, Vol. 19, No. 2, June 2008, P 227.

3) Minwoo Yun, Insurgency Warfare As An Emerging New Modes Of Warfare & The New Enemy, **The Korean Journal Of Defense Analysis**, Vol. 22, No. 1, March 2010, P 114.

4) T.x. Hammes, Fourth Generation Warfare Evolves, Fifth Emerges, **Military Review**, Vol. 87, No. 3, May – June 2007, Pp 20 – 23.

5) George Michael, **Lone Wolf: Terror & The Rise Of Leaderless Resistance**, (Nashville: Vaderbilt University Press, 2012), P 156.

6) Donald J. Reed, Beyond The War On Terror: Into The Fifth Generation Of War & Conflict, **Studies In Conflict & Terrorism**, Vol. 31, Issue 8, 2008, P 692.

7) David J. Katz, Conflict By Other Means: Waging Financial War, **Parameters**, Vol. 43, No. 4, Winter 2013 / 2014, P 79.

8) Juan C. Zarate, The Coming Financial Wars, **Parameters**, Vol. 43, No. 4, Winter 2013 / 2014, Pp 87 – 88.

9) **Ibid.**, P 92.

10) Thomas Rid, Cyberwar & Peace: Hacking Can Reduce Real World Violence, **Foreign Affairs**, November / December 2013, Vol. 92, No. 6, Pp 80 – 81.

11) Khurshid Khan, Understanding Information Warfare & Its Relevance To Pakistan, **Strategic Studies**, Vol. 4, No. 1, 2013, Pp 139 – 140.

12) Major John A. Van Messel, "Unrestricted Warfare: A Chinese Doctrine For Future Warfare?", (Master Of Operational Studies, School Of Advanced Fighting, Marine Corps University, 2004), P 17.

13) T.x.hammes, **Op.cit.**, Pp 20 – 22.

14) Donald J. Reed, **Op.cit.**, Pp 692 – 693.

15) **Ibid.**, Pp 692 – 693.

16) مركز الثقل هو: مصدر القوة الذي يوفر القوة المعنوية أو المادية، وحرية العمل، والإرادة للتصرف، ويقوم العمل العسكري على تحديد مركز ثقل العدو والعمل على مهاجمته، وإلحاق الهزيمة به، مع حماية مركز الثقل الخاص بالطرف المهاجم.

17)Donald J. Reed, **Op.cit.**, P 694.

18) Colonel Dr. Vasile Maier "Et Al.", Fifth Generation Warfare: A Sf Concept Or An Inevitable Perspective?, **Romanian Military Thinking**, No. 1, January – March 2012, P 103.

19) Donald J. Reed, **Op.cit.**, P 695.

20) Lt.col.stanton S. Coerr, , Fifth Generation War, **Marine Corps Gazette**, Vol. 93, Issue 1, January 2009, P 66.

21) Donald J Reed., **Op.cit.**, P 695.

22) **Ibid.**, P 697.

23) **Ibid.**, P 698.

24) **Ibid.**, P 698.

25) **Ibid.**, P 699.

26) Minwoo Yun, **Op.cit.**, P 114

27) George Michael, Lone Wolf: Terror & The Rise Of Leaderless Resistance, **Op.cit.**, P 156.

28) George Michael, Counter Insurgency & Lone Wolf Terrorism, **Op.cit.**, Pp 49 – 50.

29) Rene Toomse, The Concept And Framework Of Pre–Emptive Strategic Development Operations, **Baltic Security & Defense Review**, Vol. 14, Issue 2, 2012, Pp 115 – 116.

30) Donald J. Reed, **Op.cit.**, P 695.

31) Michael J. Artelli & Richard F. Deckro, **Op.cit.**, P 232.

32) Colonel Pat Phelam, Fourth Generation Warfare & Its Challenge For The Military & Society, **Defense Studies**, Vol. 11, No. 1, March 2011, P 115.